وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية العلوم الاسلامية
قسم علوم القران والتربية الاسلامية

محاضرات مادة اخلاق القران
قسم علوم القران والتربية الاسلامية المرحلة الاولى
للعام الدراسي ٢٠١٩ – ٢٠٢٠الكورس الثاني

١٤٤١هـ ٢٠٢٠م

اخلاق القرآن

(التعريف الاخلاق ومصدرها واهميتها)

الخُلق لغة: السجية، والخليقة هي الطبيعة والخلقة هي الفطرة؛ سواء كانت خيرا أوشرا.

وأما اصطلاحا: فهو الصورة الباطنة للإنسان والتي يمكن أن تظهر للآخرين بأشكال مختلفة على، جوارحه الظاهرة للناس؛ وعرَّفه ابن المبارك فقال: هو طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الأذى . وقيل: هو صلاح القلب مع صلاح الجوارح.

الأخلاق الإسلامية: هي مجموعة الأقوال والأفعال التي يجب أن تقوم على أصول وقواعد وفضائل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم ، وسنة النبي الأكرم ﷺ.

ومما يستنبط من هذا التعريف أن الأخلاق في الإسلام ليست جزءا من الدين بل هي جوهره وروحه؛ لذلك يقولﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

يعرف علم الاخلاق بانه: ((علم يبحث فيه عن الملكات والصفات الحسنة والسيئة وآثارها وجذورها)) .

وبعبارة اخرى: ((علم يبحث فيه عن اسس اكتساب هذه الصفات الحسنة ، وطرق محاربة الصفات السيئة ، وآثارها على الفرد والمجتمع)) .

مصدر الاخلاق:

١- الفطـــرة:

الفطرة لغة: هي الخلق والايجاد .

واصطلاحا : هي مجموعة من الصفات والقابليات التي تُخلق مع المولود، ويتصف بها الانسان في اصل خلقته سواء القابليات البدنية ام النفسية ام العقلية ، والفطرة تهدي الانسان الى تتميم نواقصه ورفع حوائجه .

وقيل هي : الخلقة، والفاطر: الخالق.

فكأن معنى: ((كل مولود يولد على الفطرة))؛ أي: على خلقة يعرف بها ربه، وقيل: معنى الفطرة هي الابتداء، وفطر الله الخلق؛ أي: بدأهم، ويقال: أنا فطرت الشيء؛ أي: أول من ابتدأه.

فيكون المراد: البداءة التي ابتدأهم عليها؛ أي: على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت، والشقاء والسعادة، وإلى ما يصيرون عليه عند البلوغ من ميولهم عن آبائهم واعتقادهم.

٢- الاكتساب

الكَسْبُ في اللغة: طلب الرزق ؛ وأصله الجمع، تقول منه: كَسَبْتُ شيئاً واكْتسبْته، وفلان طيِّبُ الكَسْب، وطيب المكسبة .

اما الكسب اصطلاحا: وهو ما يتحراه الانسان مما فيه اجتلاب نفع ، وتحصيل حظ ككسب المال ، والكسب يقال فيما اخذه لنفسه ولغيره . وكذلك الكسب هو كسب الحسنات والسيئات لقول تعالى: ((الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ))غافر١٧.

والأخلاق منها ما هو طبيعة وجبلة يفطر عليها الإنسان ، ومنها ما هو مكتسب يحصل بمجاهدة النفس وترويضها على خُلق من الأخلاق حتى تتطبع به ، ومن الشواهد على ذلك قول النبي ﷺ لأَشَج الْعَصَرِيِّ ، قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ فِيكَ لَخَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ مِنْكَ : الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ جَبَلَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا ؟ قَالَ : بَلْ جَبَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا . " قُلْتُ : فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يَرْضَاهُمَا﴾ فدل هذا على أن من الخلُق ما هو طبيعة وجبلة ، ومنه ما هو مكتسب ولو لم يكن من الأخلاق ما يحصل بالاكتساب ؛ لم تأمر النصوص الشرعية بالتحلي بالأخلاق الصالحة وتَنْهَ عن الأخلاق السيئة ، ولو لم يكن ذلك ؛ لاستغنى الناس عن الوعظ والتذكير ، وتركوا مجاهدة النفس.

٣- الدين

فمن المعلوم أن الأخلاق والتوجيهات الخلقية، هي الجزء الأعظم من جميع الأديان وتعاليمها، وفي جميع العصور وفي جميع الأمم نجد الأخلاق قرينة الدين والتدين، فدُعاة الأخلاق، وحُماة الأخلاق، هم الأنبياء وأتباع الأنبياء .

وإذا كانت الجِبِلّة هي منبع الأخلاق المفطورة، فإن الدين هو مصدر الأخلاق المسطورة، فلا نعرف خُلقا حسنا يتمسك الناس به أو يذكرونه ويتطلعون إليه، إلا وهو منصوص عليه في الدين وفي التراث الديني.

ولقد وردت جملة من الآيات تأمر بالأخذ بالأخلاق الكريمة الفاضلة وتنهى عن الأخلاق السيِّئةِ الدنيئة ، من ذلك:

قول الله تعالى : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }،

وقول الله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴿90﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(سورة النحل ٩٠-١٩) .

وفي السنَّةِ: كذلك نصوص تدل على أنَّ الأخلاق الصالحة يمكن اكتسابها عن طريق محاسبة النفس : منها قول النبيﷺ : ﴿ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبَّر يصبره الله ، وما أعطي أحدٌ عطاء خيراً وأوسع من الصبر) ،

وقوله ﷺ: ((إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم)) .

أهمية الأخلاق في حياة البشر:

الاهمية الاجتماعية والفردية للأخلاق:

تظهر أهمية الأخلاقية الإسلامية لما لها من أثر في سلوك الفرد، وفي سلوك المجتمع.

إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.

ولو فرضنا وجود مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى، فإنه لا بد لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة على أقل التقدير.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم الدمار.

فإذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر المجتمعات الأخرى فهي في نظر الإسلام أكثر ضرورة وأهمية ، ولذلك إن أعظم ما يتميز به المسلم بعد استقرار الإيمان بالله تعالى في قلبه ، التحلي بالأخلاق الفاضلة، والتعلق بآدابها والزاماتها السلوكية فهي تطعيم وتجميل لكل ما يتعلق بالعقائد والعبادات والمعاملات بحيث يشمل الخلق كل جوانب السلوك الإنساني ، وهو أعظم ما أعطي العبد من النعم ؛

يقول الرسول ﷺ لما سئل ما خير ما أعطي العبد؟ قال: [حسن الخلق] ، وذلك ؛ لأنه يزين الإنسان ويضفي عليه قدرا من الجمال والبهاء، ولاريب أن مرتبة الأخلاق تأتي بعد الشهادتين والصلاة ، والدين عبادات ومعاملات ، فالمعاملات كلها قائمة على الأخلاق بعد تقوى الله ﷻ .

وتكمن أهمية الأخلاق أن القرآن قدم التزكية التي هي الأخلاق قبل العلم: قال تعالى : {كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ، ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون} .

ومن تأمل كتاب الله ﷻ حق التأمل يرى الآيات التي تتحدث في الأخلاقيات التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم مما يجعله يَقِفُ وقفة دهشة وإعجاب:

قال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾آل عمران [١٣٤]

ويقول تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ الأعراف[١٩٩] ،

ويقول جل وعلا: ﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ البقرة [١٩٧] ،

ويقول تعالى أيضا: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ البقرة [٨٣]

فهذه الآيات غيض من فيض، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وأحاديثه المباركة في الأخلاق يرى عجب العجاب ، وكيف لا والله جل وعلا مدح نبيه ﷺ في آية عظيمة وذلك في قوله تعالي: ﴿وإنك لعلي خلق عظيم﴾ القلم [٤] .

ولما سئل عن خلق النبي ﷺ: (كان خلقه القرآن).

ويقول أنس ﷺ(كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا) ، ويقول أيضا: (ما مسست ديباجا ولا حريرا الين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط: أف ولا قال لشيءً فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيءً لم أفعله: الا فعلت كذا) .

سبحان الله أي خلق هذا الذي كان يتخلق به ﷺ ، ولا غريب في ذلك ، فلقد جاءت أحاديثه ﷺ تؤكد وتعظم هذا الجانب في حياة الناس اي التخلق بالفضائل والمكارم والتخلي عن الرذائل والمنكرات منها:

قال رسول الله ﷺ (البر حسن الخلق والإثم ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) .

وقال النبي ﷺ: (ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذي) .

وقوله ﷺ: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا) .

علاقة الأخلاق بالتربية

التربيـــة الاســـلامية هـــي عمليـــة بنـــاء وتوجيـــه واعـــداد الشخصـــية الانسانية وفق منهج الاسلام واهدافه في الحياة.

ولا شـــكّ أنّ المدرســـة الأولـــى للإنســـان، هـــي واقـــع الاســـرة، فمنها يتعلم الإنسان الدّروس الاولى للفضيلة أو الرذيلة.

و الانســـان عنـــدما يولـــد يكـــون كالصـــفحة البيضـــاء يولـــد وهـــو يملـــك الاســـتعداد لتلقـــي العلـــوم والمعـــارف التـــي تكـــوّن شخصـــيته وســـلوكياته كمـــا ورد فـــي الحـــديث النبـــوي المشـــهور أنّـــه صـــلى الله عليـــه وسلم قال:

«كُـلُّ مَولُـودٍ يُولَـدُ عَلَـى الفِطْـرَةِ حتـى يَكُـونَ أَبَـواهُ هُمَـا اللَّـذانِ يُهَوِّدانِهِ وَيُنَصِّرانِهِ»

فالتربيـــة التـــي تعمـــل علـــى تغييـــر إيمـــان و عقيـــدة الطّفـــل، كيـــف لا تعمـــل على تغيير سلوكه الأخلاقي في الدّائرة الاجتماعية؟

و هـــذا الأمـــر جعـــل مســـألة التربيـــة الصّـــالحة، مـــن أهـــم حقـــوق الطّفـــل علـــى الوالـــدين، لـــذلك اهـــتم الاســـلام اهتمامـــا شـــديدا فـــي ذلـــك ، لان الطفـــل حتـــى يـــوم مـــيلاده يســـمع ويفهـــم فترديـــد كلمـــات الاذان والاقامـــة فـــي اذن الطفـــل لـــم تكـــن الا لقـــدرة هـــذا الطفـــل علـــى تســـجيل هـــذه الكلمـــات النورانيـــة فـــي عقلـــه، ونصـــيحة الاســـلام للوالـــدين بـــأن يأخـــذوا ابنـــاءهم معهـــم الـــى مجـــالس الـــوعظ والارشـــاد وجلســـات القـــرآن لـــم تـــات اعتباطـــا انمـــا لقـــدرة هـــذا الطفـــل الصـــغير علـــى تخـــزين المعلومـــات التـــي يراها او يستمع اليها لتظهر عليه حينما يكبر في سلوكه واقواله.

ما يؤثر في التربية

ممـــا لا يمكـــن التغافـــل عنـــه هـــو تـــأثير المحـــيط الاجتمـــاعي القـــوي والفعـــال فـــي شخصـــية الانســـان فالطفـــل يتـــأثر بـــأنواع الســـلوك واســـاليب العـــيش المحيطـــة بـــه وبالوالـــدين وســـلوك الوالـــدين والاســـرة تـــؤثر فـــي الطفـــل تـــأثيرا كبيـــرا وكـــذلك ســـلوك الاقربـــاء والاصـــدقاء وحتـــى المدرسة والمجتمع وعاداته واساليب حياته.

ومـــن هنـــا جـــاء دور الاســـلام فـــي الاصـــرار علـــى الانســـان علـــى ان يحـــاول ان يكـــون شخصـــيته وشخصـــية مـــا يتعلـــق بـــه بصـــورة

مطابقة للأخلاق الاسلامية الحميدة ومحاولة عدم التأثر بالمحيط الاجتماعي الفاسد حوله وذلك من خلال برامج وتعاليم وضحها وفهمها للإنسان المسلم.

ومن أهم طرق اكتساب الأخلاق التعرض لتربية المربّين، وقَبول ما عندهم من الخير ومكارم الأخلاق، وهذا ما يعرف بالتربية بالقدوة، ومن هذا ما أمرنا الله به بالتأسّي بحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).

ومن العوامل الاخرى، في عمليّة تهذيب الأخلاق وترشيدها، هو الصعود بالمستوى العلمي والمعرفي للأفراد، فإنّ التجربة أثبتت أنّ الإنسان، كلّما ارتقى مستواه في دائرة العلوم والمعارف الإلهيّة، أينعت سجاياه الإنسانيّة، و تفتحت فضائله الأخلاقيّة، و العكس صحيح، فإنّ الجهل وفقدان المعارف الإلهيّة، يؤثر تأثيراً شديداً على دعامات و اسس الفضيلة، و يهبط بالمستوى الأخلاقي للفرد، في خطّ الانحراف و الباطل.؛

وكذلك النظر في كتاب الله، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بالنصوص الدالة على مدح ذلك الخُلق العظيم الذي يريد أن يتخلق به، وعقوبة سوء الأخلاق، وهذا جميعه يحصل من خلال العملية التربوية.

ما يتعلق بتربية الفتاة المسلمة

اعدادها كام وربه بيت وزوجة: لان ذلك ضروري لا بد منه ولا يمكن لأي فتاة الا وان تتحمل هذه المسؤولية وتمر بذلك الدور. فتحتاج الفتاة في اعدادها لهذه المسؤولية الى تزويدها بالثقافة والمهارات اللازمة لهذه المسؤولية ، مثلا تدريسها وتعليمها كيف تكون زوجة وام مربية صالحة والاهتمام في كونها زوجة وام مثقفة ثقافة اسلامية نافعة، وتعليمها اسس التربية الصحيحة الخاصة بالأطفال وعلم النفس المتعلق بالأطفال ايضا.

واذا استطاع المجتمع ان يربي النساء المؤمنات فسوف يخرج من بيوتهم رجال صالحون ونساء صالحات يخدمون المجتمع ويرفعون من شأنه امام العالم.

العلاقة بين الاخلاق والدين

هنـــاك علاقـــة وثيقـــة بـــين الـــدين والاخـــلاق، لا ســـيما ان الـــدين مليء بالقضايا الاخلاقية كما تعبر عنها النصوص القرآنية.

وتعتبـــر القـــيم الاخلاقيـــة مـــن أهـــمّ أهـــداف الأنبيـــاء ، إذ لـــولا الأخـــلاق، لمـــا فهـــم النـــاس الـــدّين و لَمـــا اســـتقامت دنيـــاهم: و كمـــا قـــال الشّاعر:

وإنما الامم الأخلاق ما بَقِيتْ فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذَهبوا

فـــلا يُعتبـــر الإنســـان إنســـاناً إلّا بأخلاقـــه، و إلّا ســـوف يصـــبح حيوانـــاً ضـــارياً كاســـراً، يحطّـــم و يكتســـح كـــلّ شـــيء، وخصوصـــاً و هـــو يتمتّـــع بالـــذّكاء الخـــارق، فيثيـــر الحـــروب الطّاحنـــة، لغـــرض الوصـــول لأهدافه الماديّة غير المشروعة.

نعـــم، يمكـــن أن يكـــون متمـــدّناً فـــي الظّـــاهر، إلّا أنّـــه لا يقـــوم لـــه شـــيء، و لا يميّـــز الحـــلال مـــن الحـــرام، ولا يفـــرّق بـــين الظّلـــم و العـــدل، و لا الظّالم و المظلوم!

ويمكن ان نستوحي تلك الحقيقة من خلال الآيات القرآنية:

قـــال تعـــالى «هُـــوَ الَّـــذي بَعَـــثَ فـــي الامّيـــينَ رَسُـــولًا مِـــنْهُم يَتْلُـــوا عَلَـــيْهِمْ آياتِـــهِ وَيُـــزَكّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُـــمُ الْكِتـــابَ وَالْحِكْمَـــةَ وَإِنْ كـــانُوا مِـــنْ قَبْـــلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ».

وقـــال ســـبحانه: «لَقَـــدْ مَـــنَّ اللَّهُ عَلَـــى الْمـــؤْمِنينَ اذْ بَعَـــثَ فـــيهِمْ رَســـولًا مِـــنْ أَنْفُســـهِمْ يَتْلُـــوا عَلَـــيْهِمْ آياتِـــهِ وَيُـــزَكّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُـــمُ الْكِتـــابَ وَالْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ».

قـــال جـــل فـــي عـــلاه «كَمـــا أَرْسَـــلْنا فـــيكُمْ رَســـولًا مِـــنْكُم يَتْلُـــوا عَلَـــيْكُمْ آياتِنـــا وَيُـــزَكّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُـــمُ الْكِتـــابَ وَالْحِكْمَـــةَ وَيُعَلِّمُكُـــمْ مـــا لَـــمْ تَكُونُـــوا تَعْلَمُونَ»

نســـتوحي مـــن هـــذهِ الآيـــات، الاهتمـــام الكبيـــر للقـــرآن الكـــريم بالمســـائل الأخلاقيّـــة وتهـــذيب النفـــوس، باعتبارهـــا مســـألةً أساســـيّةً، تنشـــأ منهـــا وتبتنـــي عليهـــا جميـــع الأحكـــام والقـــوانين الإســـلاميّة، فهـــي بمثابـــة القاعـــدة الرّصـــينة و البنـــاء التحتـــي، الـــذي يقـــوم عليـــه صـــرح الشّـــريعة الإسلاميّة.

إنّ التّكامل الأخلاقي للفرد و المجتمع، هو أهم الأهداف التي تعتمد عليه جميع الأديان السّماوية، إذ هو أساس كلّ صلاحٍ في المجتمع، و وسيلةٍ رادعةٍ لمحاربة كلّ أنواع الفساد و الانحراف، في واقع الإنسان و المجتمع البشري في حركة الحياة.

ولقد أولت الأحاديث الشّريفة لهذه المسألة أهمية بالغةً في الروايات الواردة عن الرّسول الأعظم صلى الله عليه و آله، منها:

الحديث المعروف عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله:

«إنّما بُعثتُ لأُتمّمَ مكارمَ الأخلاقِ».

وجاء في حديثٍ آخر: «إنّما بُعثتُ لأُتمّمَ حُسنَ الأخلاقِ»

يبيّن لنا هذا الحديث أهمية الأخلاق وفضائلها، إذ هي ليست سبباً في النجاة في الاخرى فقط، بل هي سبب لصلاح الدّنيا أيضاً.

قابلية الاخلاق للتغيير (نظرية ثبات الاخلاق، نظرية امكانية تغيير الاخلاق)

اولاً: نظرية ثبات الاخلاق:

يرى البعض خصوصاً الماديين: إنّ الأخلاق غير قابلة للتغيير (أي انها فطرية)، فمن كانت ذاته ملوّثة في الأصل يكون مجبولًا على الشرّ، وعلى فرض قبوله لعمليّة التّغيير، فإنّه تغيير سطحي، وسرعان ما يعود إلى حالته السّابقة.

ودليلهم على ذلك، بأنّ الأخلاق لها علاقةٌ وثيقةٌ مع الرّوح و الجسد، و أخلاق كلُّ شخصٍ تابعة لكيفية وجود روحه وجسمه، وبما أنّ روح وجسد الإنسان لا تتبدلان، فالأخلاق كذلك لا تتبدل ولا تتغير.

وفي ذلك يقول الشاعر أيضاً:

إذا كان الطّباع طِباعَ سوءٍ فلا أدبٌ يفيد ولا أديبُ

واستدلوا على ذلك أيضاً، بمقولة تأثر الأخلاق بالعوامل الخارجية؛ و أنّ الأخلاق تخضع لمؤثّراتٍ خارجيَّةٍ من قبيل الوعظ و النّصيحة و التأديب، فبزوال هذهِ العوامل، تعود الأخلاق لحالتها الاولى، فهي بالضّبط كالماء البارد، الذي يتأثر بعوامل الحرارة، فعند زوال المؤثّر، يعود الماء لحالته السّابقة.

وفي مقابل ما ذكرناه ، استدل البعض بروايات يظهر منها أنّ الأخلاق غير قابلةٍ للتغيير، ومنها:

الحديث المعروف الوارد عن الرّسول الأكرم صلى الله عليه و آله، حيث قال: «النَّاسُ مَعادِنٌ كَمَعادِنِ الذَّهبِ وَالفِضَّةِ، خِيارُهُم فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيارُهُم فِي الإسلامِ».

ثانياً: نظرية امكان تغيير الاخلاق

يرى جميع أصحاب الأديان السماوية وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء التربية أن الأخلاق البشرية قابلة للتغير (أي انها مكتسبة):

واستدل اصحاب هذا الرأي بالعديد من الآيات والروايات التي تدل على امكان تغيير الاخلاق منها:

١- إنّ الهدف من بعث الأنبياء و الرّسل و إنزال الكتب السّماوية، إنّما هو لأجل تربية وهداية الإنسان، وهذا أقوى دليل على إمكان التربية، و ترشيد الفضائل الأخلاقيّة لدى جميع أفراد البشر، ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى:

«هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيينَ رَسُولًا مِنْهُم يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبْينٍ».

وأمثالها من الآيات الكريمة التي تبيّن لنا أنّ الهدف من بعثة الرّسول الأكرم صلى الله عليه و آله: هو تعليم وتزكية كل اولئك الذي كانوا في ضلالٍ مبينٍ.

٢- كلّ الآيات التي توجّه الخطاب الإلهي إلى الإنسان، مثل: «يا بني آدم» و «يا أيّها النّاس» و «يا أيّها الإنسان» و «يا عبادي»، تشمل أوامر ونواهي تتعلق بتهذيب النّفوس، و اكتساب الفضائل الأخلاقيّة، و هي بدورها خير دليل على إمكانيّة تغيير «الأخلاق الرّذيلة»، و إصلاح الصّفات القبيحة في واقع الإنسان، وإلّا ففي غير هذه الصّورة تَنتفي عُموميّة هذه الخطابات الإلهيّة، فتصبح لغواً بدون فائدةٍ.

٣- القول والاعتقاد بعدم إمكان التّغيير للأخلاق، مدعاة للقول و الاعتقاد بالجَبر؛ لأنّ مفهومها هو: أنّ صاحب الخُلق السيء و الخُلق الحسن، ليسا بقادرين على تغيير أخلاقهم، وبما أنّ الأعمال و السّلوكيات تعتبر انعكاسا للصفات والملكات الأخلاقيّة، ولِذا فمثل هؤلاء يتحرّكون في سلوكياتهم من موقع الجَبر، لكننا نرى أنّهم مكلّفين بفعل الخيرات وترك الخبائث، وعليه يترتب على هذا القول جميع المفاسد التي تترتب على مقولة الجبر.

ونجد في هذا المجال أحاديث إسلامية، تؤكّد هذا المعنى أيضاً، من قبيل الأحاديث التالية:

١- قوله عليه الصلاة والسلام: «إنّما بُعثتُ لأتمم مكارم الاخلاق» هو دليل ساطعٌ على إمكانيّة تغيير الصّفات الأخلاقيّة.
٢- قال النبي عليه الصلاة والسلام : «لَو يَعلَمُ العَبدُ ما فِي حُسنِ الخُلقِ لَعَلِمَ أَنَّهُ يَحتاجُ أن يكونَ لَهُ خُلقٌ حسنٌ».
٣- وفي حديثٍ آخر، جاء عن الرّسول الأكرم صلى الله عليه و آله: «إنّ العَبدَ لَيَبلُغُ بِحُسنِ خُلقِهِ عَظيمَ دَرجاتِ الآخِرَةِ وَشَرفِ المَنازِلِ وَأَنَّهُ لَضَعِيفُ العِبادةِ».

حيث نجد في هذا الحديث، مقارنةً بين حُسن الأخلاق والعبادة، هذا أولاً. وثانياً: إنّ الدرجات العُلى في الآخرة تتعلق بالأعمال الاختيارية. وثالثاً: التّرغيب لكسب الأخلاق الحسنة، كلّ ذلك يدلّ على أنّ الأخلاق أمرٌ اكتسابي، و غير خارجة عن عنصر الإرادة في الإنسان.

مثل هذه الرّوايات والمعاني القَيّمة كثيرٌ، في مضامين أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وهي إن دلّت على شيء فإنّها تدلّ على إمكانيّة تغيّر الأخلاق، وإلّا فستكون لغواً وبلا فائدةٍ .

ونختم بحديثٍ عن الإمام علي عليه السلام، يحثّنا فيه على حُسن الخلق، حيث قال عليه السلام:

«الكَرَمُ حُسنُ السّجيةِ وَ اجتناب الدَّنيّةِ»

هناك قولٌ ثالثٌ، و هو أنّ بعض الصّفات الأخلاقيّة قابلةٌ لِلتغيير، وبعضها غير قابل، فالصّفات الطّبيعيّة و الفطريّة غير قابلةٍ لِلتغيير، ولكنّ الصّفات التي تتأثّر بالعوامل الخارجيّة يمكن تغييرها .

دراسة في اخلاقيات سورة النور

اسم السورة

سميت سورة النور لتنويرها طريق الحياة الاجتماعية للناس، وبيان الآداب والفضائل وتشريع الأحكام والقواعد ، وكذلك سميت بهذا الاسم لكثرة ذكر النور فيها، فقد تكرر هذا اللفظ في السورة سبع مرات قال تعالى : (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ) ، وقوله تعالى: (نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ).

فضلها

إن الملاحظ في هذه السورة المباركة انس وشعور بالطمأنينة وذلك لان المؤمن يرتاح للعفو الطهر ويشمئز من الغش وسوء الظن والريب والاتهام، ولذلك جاء الأمر النبوي بالاهتمام بهذه السورة ، عن مجاهد قال: قال رسول الله : علموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نسائكم سورة النور "

أغراض ومقاصد السورة

إن مقصود السورة هو مدلول اسمها الذي أودعه الله تعالى فيها ، اشتملت سورة النور على كثير من الأغراض منها:

* عقاب الذين يقذفون المحصنات.
* أحكام اللعان.
* الزجر عن حب إشاعة الفواحش بين المؤمنين والمؤمنات.
* الأمر بالصفح عن الأذى عند القدرة عليه.
* أحكام الاستئذان في الدخول إلى بيوت الناس المسكونة، ودخول البيوت غير المسكونة.
* آداب المسلمين والمسلمات في المخالطة.
* إفشاء السلام.
* تحريم البغاء الذي كان شائعا في الجاهلية.
* الأمر بالعفاف.
* ذم أحوال النفاق والإشارة إلى سوء طويتهم مع النبي ﷺ .
* التحذير من الوقوع في حبائل الشيطان.
* ضرب المثل لهدى الإيمان وضلال الكفر.
* التنويه ببيوت العبادة والقائمين فيها.

وتخلل ذلك وصف عظمة الله تعالى وبدائع مصنوعاته، وفيها من منن على الناس وقد أردف ذلك بوصف ما أعده الله للمؤمنين، وان الله علم بما يضمره كل احد ، وان المرجع إليه والجزاء بيده .

ولقد عاجلت السورة أغلظ ما في الكيان البشري ليرققه ويطهره ويرتفع به إلى آفاق النور.

وقد جاءت سورة النور بوصايا نافعة ونصائح غالية، ومواعظ نبيلة، وتوجيهات سديدة لكي يأخذ الإنسان بها حتى يصل إلى منتهى الغاية والتأدب بالصورة التي ارتضاها الله تعالى وارتضاها النبي ﷺ منها:

الاستئذان

الاستئذان خلق عظيم حثت عليه سورة النور وأوصت به.

فالاستئذان لغة: طلب الإذن وهو مصدر استأذن.

واصطلاحا: " طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن .

ومن خلال قراءة الآيات الدالة على الاستئذان في سورة النور يمكن تقسيم الاستئذان إلى أقسام:

الأول: الإذن فيمن يملك ذلك من الناس: قال الله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ) .

ورد في سبب نزول هذه الآية: أن امرأة من الأنصار جاءت إلى النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها احد وانه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف اصنع؟ فنزلت هذه الآية .

ان استباحة حرمة البيت من الداخلين دون استئذان يجعل أعينهم تقع على عورات او تؤدي الى نظرات غير قاصدة قد تتكرر فتتحول إلى نظرات قاصدة بما تؤول الى امور محرمة .

ثانيا: استئذان الأقارب: إن الإسلام منهاج للحياة، إذ هو ينظم حياة الإنسان في جميع أطورها ومراحلها قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ) .

في هذه الآية الكريمة أكدت على أهمية استئذان الأقارب بعضهم على بعض، فأمر الله المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت إيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم ثلاثة أحوال:

الحال الأول: من قبل صلاة الغداة أي صلاة الفجر، وذلك لان الناس إذ ذاك يكونون نياما في فرشهم.

الحال الثاني: حين تضعون ثيابكم من الظهيرة، أي في وقت القيلولة، لان الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله.

الحال الثالث: من بعد صلاة العشاء، لأنه وقت النوم .

ومن خلال ما تقدم من ذكر الآيات الواردة في الاستئذان نستطيع أن نذكر جملة من أهم الآداب المتعلقة بالاستئذان مستوحاة من الآيات الكريمة وسنة رسول الله ﷺ :

أولا: أن يستأذن الإنسان سواء أكان رجلا أم امرأة قبل الدخول وذلك لان الآية تصدرت بقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) وكل من الرجل والمرأة داخل في عموم الآية

ثانيا: من الأدب أن يختار الوقت الملائم للزيارة، فلا بد لكل ا زئر أن يختار وقتا مناسبا للزيارة، فلا يفاجئه بوقت غير متعارف عليه عند الناس.

ثالثا: ومن الأدب أن يستأذن ثلاثا فإذا لم يأذن له بعد الثلاث فعليه الانصراف، وإذا كانت الآية لم تبين لنا عدد المرات في الاستئذان فان النبي بين لنا ذلك فقال رسول الله ﷺ : (الاستئذان ثلاث، فإن أُذن لك وإلا فارجع) .

وإذا لم يؤذن للزائر بالدخول وقيل له ارجع فلا بد من الرجوع لقول تعالى : (وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ) .

رابعا: ومن الأدب أن لا يقف الزائر أمام الباب: فلا بد للزائر أن يقف عن يمين الباب أو شماله، فان ذلك صيانة لأعراض المسلمين، فكان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول " السلام عليكم السلام عليكم .

خامسا: ومن الأدب عدم الإلحاح في طلب الإذن وقرع الأبواب برفق.

سادسا: ومن الأدب أن يذكر الزائر اسمه عند الاستئذان: كثيرا ما نرى ونشاهد في زيارات المسلمين لبعضهم البعض عند طرقه الباب فقال له: من أنت؟ فيقول: أنا، وهذا لا يجوز بل لا بد من ذكر اسمه أو كنيته المعروف بها.

حفظ اللسان

لعل من أهم الآداب التي أرشدت إليه هذه السورة حفظ اللسان ، وعدم الخوض فيما لا فائدة فيه.

إن الكلمة في دين الله لها شان عظيم ، فاللسان خطره وجرمه أثيم، ولا يجوز للمسلم أن يطلق العنان للسانه يتكلم متى يشاء وكيفما يشاء.

ولذلك يذكر لنا النبي ﷺ عظم اللسان وخطره فيقول ﷺ: (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا).

فحفظ اللسان : هو صون الإنسان لسانه عن كل خطا ما يغضب الله من كذب وغيبة ونميمة، وكل ما لا يعنيه.

وفي سورة النور إشارة واضحة إلى حفظ اللسان والتثبت في إطلاق الأحكام ، وعدم إطلاق الشائعات، وذلك حفظا للمجتمع بأسره قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

الاخلاق عند الانبياء (النبي يوسف عليه السلام)

لقد أخبرنا الله في محكم كتابه الكريم عن جملة من أخلاق أنبيائه الكرام ، فان القرآن المجيد أخذ مساحة كبيرة جدّاً في قصص الأنبياء وبيان بعض أحوالهم الخاصّة والعامّة ، ولاسيّما في إبانة أخلاقهم الطيّبة ، وذلك في آيات كريمة في سور من القرآن سمّيت بأسمائهم لسرد الحوادث والوقائع التي كانت في حياتهم مع أممهم لتكون عبرة للأخرين ، ففي قصصهم لآيات لأُولى الألباب .

ومن السور: آل عمران ويونس وهود ويوسف وابراهيم وغيرها الكثير.

وكان للأخلاق اهمية بالغةً وأساسيّة وواسعة في انتشار الرسالات التي قاموا بتبليغها، فلولا صدقهم وحنانهم وخلقهم الرفيع وصبرهم وحلمهم الواسع ، لما مال الناس إليهم

قال تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ) .

وعند ملاحظة الآيات التي تتعلّق بأخلاق الأنبياء، نجد هناك فروقات وإمتيازات في العرض القرآني بين الأنبياء ، ولابد من أغراض ومقاصد من ذلك ، منها ما تتعلّق بأُممهم ومجتمعاتهم ، فالمجتمع الذي أُبتلى بالمفاسد الاقتصاديّة كان نبيّهم يتعامل معهم بأخلاق على ضوء ذلك ، كما بعض المجتمعات أُبتلت بالمفاسد السياسيّة ، ومنهم بالمفاسد الاجتماعيّة أو الثقافيّة وهكذا، فأعطى الله لكلّ نبيّ دوره الخاص ليعالج تلك المفاسد بالحكمة والموعظة الحسنة وبالأخلاق الطيّبة .

ولكي يتضح المعنى اكثر نقف عند قصة نبي الله يوسف ﷺ التي احتوت على الكثير من القيم ، ومن أهم القيم الأخلاقية المحمودة التي وردت في سورة يوسف ﷺ القيم الآتية:

أولاً: النصيحة:

المسلم جواد كريم النفس لا يبخل عن أخيه الإنسان بأي نصيحة تنفعه في دينه أو دنياه ، بل يعطيه نصحه الذي ينفقه مبتغياً به وجه الله تعالى لأن الدين النصيحة لذلك كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أول الأركان الأساسية التي تقوم عليها الدعوة إلى الله ، وقد جاءت النصيحة في سورة يوسف ﷺ على لسان سيدنا يعقوب ﷺ ؛ لابنه يوسف عليهما السلام في قوله تعالى: " قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ"

حيث أدرك سيدنا يعقوب ﷺ بحدسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأناً عظيماً لسيدنا يوسف ﷺ ، لم يفصح هو عنه، ولم يفصح عنه سياق القصة كذلك، ولهذا نصحه بألّا يقصص رؤياه على إخوته، خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم فتمتلئ بالحقد فيدبروا له أمراً يسوؤه .

ثانياً: الأمانة:

الأمانة ضد الخيانة والأمانة في جانبها النفسي خُلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له به حق، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره ، ولا تقتصر الأمانة على العفة على الأموال، بل العفة من كل ما ليس للإنسان به حق هي أيضاً داخله من حدود الأمانة، أو أثر من آثارها، فالعفة عن العدوان من الأعراض عن الأمانة وترك العبد ما حرّم الله من الأمانة ، فمن تجاوز حدود الله واعتدى على ما ليس به حق فقد خان الأمانة ،

وها هي امرأة العزيز تخون الأمانة وتعتدي على ما ليس لها به حق، تعتدي على شرفها، وتعتدي على الحقوق الزوجية ، كما قال تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ).

ثالثاً: الصبر:

الصبر قوة خلقية من قوى الإرادة، يستطيع الإنسان به ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وبالصبر يتصرف الإنسان في الأمور بعقل وحكمة واتزان في حل مشكلات الحياة ومعالجتها، وهو ثمرة من ثمرات الخضوع إلى الله والرضا فيما تجري به المقادير وهو السلاح الأقوى الذي يمكّن صاحبه من إصلاح خصمه أو الظفر به وقد ابتلي العديد من الرسل والأنبياء والصالحين وتحملوا المشقات والمتاعب، وصبروا على قدر الله ، ومنهم سيدنا يعقوب ﷺ الذي أُصيب بمكروه في ولديه قال تعالى: (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ). وتلقى ذلك الصبر الجميل والرضا والتسليم، وكذلك صبر سيدنا يوسف ﷺ فسيرته مليئة بالأحداث المثيرة، ويتراءى لنا ذلك من غدر أخوته به بطرحه في الجب، ونكرانهم له عندما أخرج من الجب، ووصفه بالعبد، وإجباره على الاعتراف لهم بالعبودية، وبيعه بثمن بخس، وهو صابر محتسب قال تعالى : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ).

رابعاً: الصدق:

الصدق هو قول الحق، وهو القول المطابق للواقع والحقيقة، فالأعمال الصادقة هي الأعمال التي تكون دلالاتها التعبيرية مطابقة لما في نفس فاعلها وقلبه، وهي التي ليس بينها وبين ما يخفيه فاعلها في نفسه وقلبه من منافاة ولا تعارضه ، فالأحداث تدل على أن سيدنا يوسف ﷺ كان صادقا مع نفسه التي آلت عليه ألّا يخرج من السجن إلا بعد أن ثبتت براءته ولو كان في ذلك هلاكه وبقاؤه في السجن إلى ما شاء الله له ذلك ، وهذا ما حدث فعلاً ، حيث اعترفت امرأة العزيز بأنّها كذّبت على يوسف وأنه من الصادقين قال تعالى :(قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ).

خامساً: العفة

العفة هي كف النفس عن المحارم، وعن اقتراف الشهوة المحرمة، وأكل المال المحرم ، وعن ممارسة ما لا يليق بالإنسان أن يفعله مما لا يتناسب مع مكانته الاجتماعية، ولما كانت عفّة يوسف ﷺ عفّة مستوفية كل شروط العفّة وأركانها كانت من أعظم أمثلة العفّة في تاريخ الإنسان .

سادساً: التسامح:

هو الإعراض عن مواجهة السيئة بمثلها، وقد أدّب الله -عز وجل- سيدنا محمد ﷺ بخلق الصّفح والتسامح حيث كان أجمل الناس صفحاً وتسامحاً، يتلقى من قومه الأذى المؤلم فيعرض عن تلويمهم أو تعنيفهم أو مقابلتهم بمثل عملهم، ومن خواطر التسامح والصفح عن المسيئين موقف يوسف ﷺ عندما باعه إخوته لمالك بن دعر، ولم يكتفوا بهذا الإجراء، بل نعتوه بأقبح الصفات لمن اشتراهُ بقولهم: إنه عبد عاصٍ لسيده كثير الهرب، وبمقابل هذه الصفات المذمومة، كانت سماحة يوسف، فلم يقابل السيئة بالسيئة، بل بادلهم بالقول الحسن، إذ قال: حفظكم الله وإن ضيعتموني، نصركم الله وإن خذلتموني، رحمكم الله وإن لم ترحموني.

وبعد أن اعترف أخوة يوسف بالخطيئة، وإقرار بالذنب، يقابله يوسف بالصفح والتسامح والعفو ، وينجح يوسف في الابتلاء بالنعمة، كما نجح من قبل في الابتلاء في الشدة، إنه كان من المحسنين قال تعالى (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .

القيم الأخلاقية المذمومة:

أولاً: البغضاء أو الحسد:

الحسد خُلق ذميم، مع إضراره بالبدن وإفساده للدين وهو أول ذنب عُصي الله به في السماء، أي حسد إبليس لآدم عليه السلام ، وأول ذنب عُصي الله به في الأرض، أي حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله ، وها هم أخوة يوسف لم يرضوا بقضاء الله تعالى، ولم يقنعوا بعطائه، وقد هالهم وأفزعهم وأضرم الشيطان نار الحقد والحسد والبغضاء في قلوبهم بسبب محبة يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام وصرّح الأخوة فيما بينهم بما يدل على حسدهم لهما قال تعالى :(إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ).

ثانياً: الكذب:

الكذب جامع لكل شر، وأصل كل ذم لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، وكما يكون الكذب في الأقوال يكون في الأفعال، ويبرز ذلك في موقف امرأة العزيز حيثما وجدت زوجها في الباب وهي تطارد يوسف ﷺ لإجباره على فعل ما تريده منه قال تعالى: (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

ثالثاً: الكيد والمكر والاحتيال:

الكيد هو الخبث والمكر والاحتيال والاجتهاد أي إخفاء ما يضمر الإنسان للآخر من فعل وينصرف أساساً إلى فعل الشر في الغالب، وهو فعل شيء في صورة غير مقصودة للتوصل إلى مقصود، وفي سورة يوسف ﷺ أنماط عن الكيد فمنها كيد إخوة يوسف وهو كيد شر؛ لأن لكل كيد دوافعه وتكون دوافع الكيد لدى إخوة يوسف ﷺ في الوهم في الإحساس بالتمايز بين الأبناء، إذ توهم إخوة يوسف أن يعقوب ﷺ كان يميز بينهم وبين يوسف وأخيه بنيامين قال تعالى:(إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

واما كيد امرأة العزيز وهو ايضاً كيد شر ، فيلتقي مع الكيد الأول في كونه كيد شر، وإذا كان إخوة يوسف ﷺ خططوا للتخلص منه وإبعاده عنهم، فإنّ امرأة العزيز قد خططت هي الأخرى من أجل: التواصل مع يوسف عليه السلام، وتكمن دوافع امرأة العزيز في الإعجاب والانبهار بشخصية يوسف ﷺ وكمال جماله.

نماذج من اخلاق اهل البيت عليهم السلام

لقد اعطى النبي ﷺ للأخلاق، عناية كبرى، وجعلها الهدف والغاية من بعثته ورسالته، فقال ﷺ: (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) . وقد سار على هذا النهج المبارك ال بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام .

وقد كان لأهل البيت عليهم السلام صورا رائعة في مكارم اخلاقهم وسمو آدابهم ، وكانوا قدوة للامة الاسلامية ومثلا يهتدى بهم ، وسنقف على نماذج من الاخلاق التي دعا اليها اهل البيت عليهم السلام :

اولاً: حسن الخلق

فقد جاء عن امير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو يصور اخلاق رسول الله ﷺ : ((كان اجود الناس كفاً ، واجرأ الناس صدرا ، واصدق الناس لهجة ، واوفاهم ذمة ، والينهم عريكة ، واكرمهم عشرة . من رآه بديهة هابه . ومن خالطه فعرفه احبه ، لم ار مثله قبله ولا بعده))

وعن محمد بن جعفر (عليه السلام) قال : وقف على علي بن الحسين (عليه السلام) رجل فأسمعه وشتمه ، فلم يكلمه ، فلما انصرف قال لجلسائه : لقد سمعتم ما قال هذا الرجل ، وانا احب ان تبلغوا معي اليه حتى تسمعوا مني ردي عليه ، فقالوا له : نفعل ، فأخذ نعليه ومشى وهو يقول : ((والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)) ، فعلمنا انه لا يقول له شيئاً .

قال : فخرج حتى اتى منزل الرجل ، فصرخ به ، فقال : قولوا له هذا علي بن الحسين ، قال : فخرج متوثباً للشر ، وهو لا يشك انه انما جاء مكافئاً له على بعض ما كان منه .

فقال له علي بن الحسين (عليه السلام): يا اخي انك وقفت علي آنفاً وقلت وقلت فان كنت قلت ما في فأستغفر الله منه ، وان كنت قلت ما ليس في فغفر الله لك.

قال : فقبله الرجل بين عينيه ، وقال : بل قلت فيك ما ليس فيك وانا احق به .

وليس شيء ادل على شرف حسن الخلق ، وعظيم اثره في سمو الانسان واسعاده من هذا الموقف المبارك من الامام كان علي بن الحسين عليه السلام .

ثانياً: الصدق

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : (الزموا الصدق فانه منجاة) .

وقال الباقر عليه السلام: (كان علي بن الحسين عليه السلام يقول لولده: اتقوا الكذب، الصغير منه والكبير، في كل جدّ وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير، إجترأ على الكبير، أما علمتم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه اللّه صديّقاً، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه اللّه كذّاباً).

ثالثا: عدم الغضب

الغضب هو : حالة نفسية ، تبعث على هياج الانسان ، وثورته قولاً او عملاً، وهو مفتاح الشرور ، ورأس الآثام ، وداعية الازمات والاخطار . وقد تكاثرت الآثار في ذمه والتحذير منه : (روي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تغضب . فردد ذلك مرارا ، قال لا تغضب).

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «واحذر الغضب ، فانه جند عظيم من جنود ابليس).

وقال الصادق (عليه السلام): (الغضب مفتاح كل شر)

وانما صار الغضب مفتاحاً للشرور ، لما ينجم عنه من اخطار وآثام ، كالاستهزاء ، والفحش ، والضرب ، والقتل ، ونحو ذلك من المساوئ .

وقال الباقر (عليه السلام): (ان الرجل ليغضب فما يرضى ابداً حتى يدخل النار).

رابعاً: عدم الظلم

الظلم لغةً: الجور ومجاوزة الحد، وقيل هو وضع الشيء في غير موضعه ،فالشرك ظلم عظيم ، لجعله موضع التوحيد عند المشركين .

الظلم اصطلاحاً: هو (وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ إمَّا بنقصان أو بزيادة؛ وإما بعدول عن وقته أو مكانه.

وان الظلم من الصفات المذمومة التي ذمها الله تعالى في آيات عديدة منها قوله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ).

قال: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) .

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها ، على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلت ، وان دنياكم لاهون علي من ورقة في فم جرادة ، ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى) .

وقال الصادق (عليه السلام): (من ظلم سلط الله عليه من يظلمه ، او على عقبه او على عقب عقبه) .

خامساً: التآخي

من الصفات التي جهد الاسلام في تعزيز التآخي الروحي وحماه من نوازع الفرقة والانقسام بما شرعه من دستور الروابط الاجتماعية في نظامه الخالد الذي جاء به القرآن الكريم (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...) والسنة النبوية المشرفة (المسلم اخو المسلم...) ، وكان لأهل البيت آثاراً عظيمة في هذا المجال منها :

قال الصادق (عليه السلام): (ان المتحابين في الله يوم القيامة ، على منابر من نور ، قد اضاء نور وجوههم ، ونور اجسادهم ، ونور منابرهم ، كل شيء حتى يعرفوا) .

وقال علي بن الحسين (عليهما السلام): (اذا جمع الله عز وجل الاولين والاخرين ، قام مناد ينادي بصوت يسمع الناس ، فيقول : اين المتحابون في الله ؟ قال : فيقوم عنق من الناس ، فيقال لهم : اذهبوا الى الجنة بغير حساب. قال : فتلقاهم الملائكة فيقولون : الى اين ؟ فيقولون : الى الجنة بغير حساب . قال : فيقولون : فأي ضرب انتم من الناس ؟ فيقولون : نحن المتحابون في الله .

فيقولون : فأي شيء كانت اعمالكم ؟ قالوا : كنا نحب في الله ، ونبغض في الله قال : فيقولون : نعم اجر العاملين .